

# قصة قصيرة

✧ إرادة الأرض ✧

عبدالقادر سعد

وقف خيرى وقد أثقلته مشاعر الحزن، وانعكست على  
قسمات وجهه علامات لا تخفى من الكآبة واللوعة.  
كانت عيناه تشعان بشيء من الحيرة والانكسار، بينما  
كان يتأمل جثمان أبيه الذي بسط أمامه في لحظات  
الوداع الأخيرة. خيرى كان، كما قال الناس دائماً،  
صورة طبق الأصل من والده، بتفاصيل وجهه القاسية  
والبسيطة، عينيه السوداء الهادئة التي تشبه عيني  
والده في عمقها وقوتها. لكن، لم يرث من ملامح  
والده شيئاً. كانت والدته تحمل ملامح رقيقة، بنظرة  
دافئة ولمسة حانية، وابتسامة كانت تضيء وجهها  
حتى في أشد الأوقات حزناً؛ كانت فعلاً اسماً على  
مسمى.

بينما همّ الناس بإنزال جثمان والده إلى القبر، كان يقف كالصنم، ينظر بعينين غارقتين في السكون والصدمة. كل شيء حوله بدا كأنما يتباطأ، كأنما المشهد بأكمله يتحرك بالحركة البطيئة، حيث صمت العالم من حوله ولم يعد يسمع سوى صوت ذكرياته، صوت ضحكات والده، نصائحه، وصوته الحنون الذي كان يملأ عليه حياته.

راح خيري يسرح في ذكريات لا تبارحه، تلك اللحظات الجميلة التي جمعتها بوالده؛ كان يتذكر تلك الليالي الطويلة التي قضاها معه وهو يستمع إلى حكاياته، ومغامراته. كل موقف جميل وكل ذكرى أصبحت الآن مصدراً للألم، لأن قلبه يدرك أنه فقد جزءاً كبيراً من حياته، ليس فقط كأب، بل كصديق وأخ كبير كان يملأ فراغ الوحدة في حياة ابنه الوحيد.

كان الأب حريصاً دوماً على أن يشعر خيري بالأمان والدفء، وأن يعوضه عن غياب والدته، على الرغم من صعوبة هذا العبء الذي أثقل كاهله. لم يرد لابنه أن يشعر أبداً بوحدة الفقد أو ببرودة العالم من حوله. فقد كان يحاول بجميع الطرق أن يكون له الأب والأم والصديق، وأن يملأ فراغ الأم التي غابت في وقت قريب. وكم كان خيري يتطلع إلى هذا الحضور الذي غمره دائماً بالحب الصامت، والحماية الدائمة التي منحها له والده.

بينما كان خيري غارقاً في هذا الماضي، سارحاً في زوايا الذكريات التي تبعث في قلبه الألم والحنين، قطع عليه تياره الداخلي صوت أحد العاملين في المقبرة. كان صوت الرجل العجوز عميقاً، يحمل سنوات طويلة من الحكمة والتجربة، رفع صوته قليلاً بنبرة فيها نوع من الجذّ والصرامة وهو يناديه:

\_ "أيها الفتى، هل تريد أن ترمي حفنة التراب الأولى؟  
فأنت أولى بها!"

تردد خيري قليلاً، وكأن الكلمات تجمدت في حنجرته،  
ثم همس بنبرة متقطعة مشوبة بالحزن:

\_ "لا يا سيدي، أرجوكم...أكملوا عملية الدفن."

نظر الرجل العجوز إلى خيري بنظرة فيها بعض  
الاستغراب والتأنيب، إذ بدا له الفتى بارد الملامح، لا  
أثر للعاطفة في قسماته الشاحبة. فسر العجوز هذا  
الصمت البارد بطريقة خاطئة، حيث اعتقد أن هذا  
الفتى، الذي يقف بلا دمعة، لا يحمل حباً كبيراً لأبيه،  
وأنه يرغب فقط في إنهاء مراسم الدفن بأسرع وقت  
ممكن.

أكمل العمال مراسم الدفن، ومع كل حفنة من التراب  
كانت الدنيا من حول خيري تزداد ظلاماً وكآبة، وكأن  
الكون بأسره شاركه حزنه. ارتفعت الريح الباردة  
وهمس الليل المبكر بخفوت، فأصبحت السماء ملبدة  
بالغيوم الداكنة، وبقي خيري واقفاً أمام قبر والده،  
يوواجه وحدته الثقيلة بعد رحيل الجميع. لم يتبق أحد في  
المقبرة إلا هو، حيث خفتت أصوات أصدقاء أبيه،  
واحدًا تلو الآخر، حتى أضحت المقبرة صامتة، تعزف  
لحنها الوحيد في صوت الرياح التي تمر بين شواهد  
القبور.

اقترب من قبر والده، حتى كاد أن يلتصق به، وتنفس  
بعمق، مستجمعاً شجاعته ليخاطب من فقده. بدا الجو  
يزداد برودة، فسمع صدى كلماته كأنه يعبر عن ألمه  
ذاته، وهمس بصوت مبجوح:

\_ "أعلم بأنك تسمعي يا أبي... لهذا أود أن أبدأ كلامي  
باعتذار. لم أتمكن من تنفيذ الجزء الأول من وصيتك."

أخذ خيري نفساً عميقاً، وكان الكلمات ثقيلة كالصخور،  
ثم تابع ببطء:

\_ "المكان الوحيد الذي كان بجوار قبر والدتي دُفن فيه  
شخص غريب قبل أن أتمكن من دفنك بجواره بساعتين  
فقط. لقد أخبرت عمال المقبرة، وقلت لهم إنك حجرت  
هذا المكان بعد رحيل أمي، لكن لم يأبه أحد، بل برروا  
خطأهم بحجج واهية."

وقف صامتاً لحظة، وكأنما يستجمع شتات نفسه، ثم تابع بصوت هادئ لكنه مفعم بالندم:

\_"حاولت بكل جهدي أن يكون مثواك بجوار قبر أُمي. لكن، يا له من أمر عجيب! كيف بقي المكان خالياً لثلاث سنوات، وها هو اليوم يُحتل بغريب وكأن القدر لا يترك لنا حظاً حتى في لحظتنا الأخيرة."

رفع خيري عينيه نحو السماء المظلمة، وكأنه يسألها تفسيراً لهذا القدر الغريب، ثم انحنى بهدوء وهمس:

\_"على كل حال، يا أباي، أتمنى أن تكون مرتاحاً في قبرك الجديد. وأعلم يا أباي أنني فعلت كل ما بوسعي؛ فوصيتك أصبحت كل ما أملك الآن. وأعدك، أعدك أن أبقى قوياً كما علمتني، ولن أنساك ما حييت. أنت لم تكن فقط أباي، كنت أخي وصديقي، بل أعز من ذلك بكثير. لم يكن لأحد مكانك في قلبي، قلبٌ يتفطر حزناً على رحيلك."



ثم مد يده المرتجفة إلى جيبه، وأخرج ورقة قديمة  
باهتة الأطراف، كانت تلك الورقة التي سلمها له والده  
بعد عام من رحيل والدته. أوصاه بها أن يقرأها بين  
قبريهما بعد دفنه، ثم أن يعود في اليوم الثاني ويقرأها  
مرة أخرى، ويعيد الأمر لسبعة أيام متتالية. لقد كانت  
تلك اللحظة التي سيلتزم فيها بخيري بوعدده، وبدءاً من  
اليوم الأول، سيحمل هذا العبء كذكرى مقدسة بين  
قبرين جمعتهما حب أزلي.

فتح خيري الورقة بيد مرتجفة، كانت تلك الورقة التي  
أوصاه والده بقراءتها بين القبرين، وكان يعلم أنها  
تحمل من كلمات الوداع ما كان يخفيه والده. نظر إلى  
الأعلى حيث برزت ملاحظة مكتوبة بخط كبير في أعلى  
الورقة، كتبت لتبرز مدى أهمية تنفيذها، تقول:

\_"أطلب منك يا بني أن تقرأ ما كتبت بصوت عالٍ،  
حتى وإن كانت المقبرة مليئة بالناس."

أخذ خيري نفساً عميقاً، وحاول رفع صوته لينفذ  
الوصية، وشعر بثقل الكلمات وهو يقرأ:

\_"أطلب منك العفو والمغفرة؛ لأنني فكرت في نفسي  
فقط. أطلبها بلسان من هم فوق الأرض، ومن هم  
تحتها أطلبها بلسان الأحياء والأموات."

توقف خيري لحظة بعد أن قرأ هذه الكلمات، شعر  
بارتباك لم يستطع تفسيره. لماذا يطلب والده من والدته  
العفو والمغفرة؟ أعاد قراءة الجملة مراراً بصمت،  
محاوياً فهم معناها الغامض، لكنه لم يجد جواباً يروي  
فضوله. كان يعرف والديه جيداً، وعاش بينهما في بيت  
يملاه الودّ والانسجام، ولم يكن هناك يوم شهد فيه  
خلافاً حقيقياً بينهما. كانت علاقتهما في غاية الانسجام،  
يتفاهمان في أبسط الأمور، ويعيشان في سكينة وتقدير  
متبادل.

لكن، لماذا إذن يطلب والده العفو؟ أكان هناك سرٌّ لم  
يعلم عنه شيئاً؟ شعور بالذهول اختلط في داخله، وكان  
والده ترك له هذه الكلمات لغرض أكبر من مجرد  
توديع، كلمات تحمل معاني غير مرئية وتفتح أمامه  
أسئلة لم يتوقعها.

بعد لحظات من الحيرة والتساؤلات التي تهافتت عليه  
كعاصفة، قرر أن يغادر المقبرة ويعود إلى المنزل.  
كانت برودة الجو تزداد، والليل قد حل بشكل كامل،  
فأصبحت البرودة لا تُطاق. قبل أن يغادر، انحنى على  
قبر والده، ومسحه بيده برفق، ثم طبع قبلة صامته  
على شاهد القبر وكأنها وعد بقاء قادم، وهمس  
بصوت خافت:

\_ "إلى لقاء قريب، يا أبي."

ثم استدار وغادر المقبرة بخطوات بطيئة، تاركاً وراءه  
أسئلة لم يجد لها إجابة، وأسراراً مدفونة بين كلمات  
والده، لترافقه في ظلال الليل الطويل.

عاد إلى منزله، يسير بخطوات بطيئة ويغرق في أفكاره. كان يشعر بأنه يجب أن يبدأ بالتفكير في مستقبله بجدية؛ فالحياة لن تتوقف، ولم يعد من الصواب أن يبقى وحيداً بلا أمل أو هدف. لقد تذكر تلك الخطوة الكبيرة التي أقدم عليها قبل وفاة والده بأشهر قليلة، عندما خطب زميلته في الدراسة، الفتاة التي أحبها بصدق، وسعى لجعلها شريكة حياته.

كانت تلك الفتاة زميلته التي تبادل معها النظرات الأولى والمشاعر الصادقة في قاعات الدراسة. وعندما قرر خيري أن يخطبها، طلب من والده أن يذهب لخطبتها رسمياً. وافق والده بحماس، لكنه فوجئ بشرط والد الفتاة، إذ طلب منه أن يسكن بالقرب منه وإلا فلن يوافق، بل سيزوج ابنته إلى ابن عمها.

شعر خيري بالتوتر والقلق من هذا الشرط، وتوقع أن والده قد يعترض بسبب بُعد المسافة، فالمدينة التي تعيش فيها خطيبته بعيدة جداً عن منزلهم الحالي، وأي موافقة تعني أن والده سيضطر إلى تغيير حياته كلياً.

لكن المفاجأة الكبرى جاءت عندما وافق والده دون أدنى تردد. كانت موافقة والده بمثابة صدمة لخيري، إذ أدرك أن والده كان مستعداً لنقل عمله، وبيع منزله، والابتعاد عن أصدقائه الذين لم يكن يملّ من صحبتهم، كل هذا لأجل سعادة ابنه ومستقبله. كانت تضحية عظيمة تعكس الحب العميق الذي يكنه له.

والآن، بعد رحيل والده، أصبحت جميع الأمور تعتمد عليه وحده. فقد ورث عن والده ليس فقط هذه العلاقة القوية مع خطيبته، ولكن أيضاً الأمانة الثقيلة في تنفيذ قرار الانتقال.

كان عليه أن يبيع منزلهم القديم ويشترى المنزل الجديد الذي سبق واتفق والده مع صاحبه على شرائه قبل وفاته بثلاثة أشهر.

ومع كل هذه المسؤوليات الكبيرة التي تنتظره، شعر بأن عليه أولاً أن ينهي وصية والده التي وضعها بين يديه بعناية، وصية حرص والده على أن تتم بكل دقة وبدون أي خطأ. كانت وصية ليست مجرد كلمات، بل إرث يحمل في طياته حياً واهتماماً عميقاً من والده، وأمانة كان مستعداً لتحملها بكل ما أوتي من عزم.

وأخيراً، وصل إلى المنزل. كان المكان يبدو خالياً، يعمه الصمت الموحش، كأنه بيت بلا روح، بلا حياة. لم يعد هناك أحد ليشاركة الحديث أو ليخفف عنه وطأة الفقد. كان ذلك الصمت يسكن زوايا المكان، ويجعل الفراغ يبدو أثقل وأعمق.

تذكر كل الأوقات التي كانت تعج فيها هذه الجدران  
بالضحكات والكلمات العفوية، حين كان والده جالساً  
بجانبه.

أول ما جال في خاطره كان الأريكة القديمة، المكان  
الذي اعتاد هو ووالده الجلوس فيه، حيث كانا يتبادلان  
المزاح ويشاهدان التلفاز، أوقات مليئة بالحياة  
والدفء. جلس على الأريكة، ويده تتحسس المكان  
كأنه يحاول استحضار روح والده هناك، ليشعر بوجوده  
ولو لوهلة.

أخذ ألبوم الصور القديم من رف قريب، وبدأ يقلب في  
صفحاته. كانت الصور تنبض بالذكريات، كل صورة  
كانت نافذة تفتح له باباً إلى لحظات لا تزال عالقة في  
قلبه.



هناك صورة لهم جميعاً، هو ووالده ووالدته، وأخرى يظهر فيها وهو طفل صغير يلهو في أحضان والده، وأخرى لوالدته بابتسامتها الرقيقة التي لطالما أضاعت لهم الحياة. كأن تلك الصور تحولت إلى مقاطع فيديو في مخيلته، تستعرض أمامه مشاهد من زمن بعيد لكنه أبدي، لحظات لا يمكن نسيانها أبداً.

استرجع ذكريات والدته التي كانت تجسد الرقة واللطف، تذكر لمساتها الحانية وكلماتها الدافئة، تلك التي كانت تملأ البيت بالحب والطمأنينة. لقد فقد كليهما الآن، وعاد من تلك الرحلة الطويلة في أعماق الذكريات بجسد منهك وروح مثقلة بالألم.

شعر بالتعب الشديد يسيطر عليه، ورغم أنه كان متعباً جسدياً وروحياً، عرف أنه لن يكون من السهل أن ينام.

فالنوم بعد فقد العزيز أمر عسير، كأن القلب يأبى  
الاستسلام للراحة بينما يحاول العقل التمسك بكل  
ذكرى. لكن رغم صعوبة الأمر، قرر أن يستلقي على  
الأريكة نفسها، تلك التي شهدت أجمل لحظات حياتهم،  
واحتضنت ضحكاتهم وأحاديثهم. تمدد على الأريكة،  
مغلقاً عينيه، كأنه يسعى للهروب إلى عالم الأحلام حيث  
قد يجد والده هناك، يجلس بجانبه كما كان دائماً.  
وبعد أن استغرق في نوم مضطرب، جاءه حلم كأنما  
يسير على حدود الواقع، فرأى نفسه جالساً على نفس  
الأريكة، وبجواره والده، لكن ملامح الأب كانت مثقلة  
بالحزن، بعيدة عن تلك الذكريات الضاحكة التي  
تجمعهما. شعر خيري بنظرة الحزن في عيني والده،  
حاول أن يسأله بعينه عن سبب حزنه، فأجابته والده  
بنبرة مليئة بمرارة وألم:

\_"لا داعي لأن تذهب إلى المقبرة غداً، فلقد شاعت  
الأرض أن تجمع من فرقته أنانية البشر."

استيقظ خيري فجأة من الحلم، والغرفة من حوله لا  
تزال غارقة في الظلام، إلا من خيط ضوء باهت يتسلل  
عبر النافذة. نهض ببطء، وهو ما زال تحت تأثير تلك  
الكلمات العميقة، الغامضة. اتجه إلى النافذة، وفتح  
الستارة بالكامل ليجد أن الصباح قد بزغ، لكن السماء  
كانت ملبدة بغيوم سوداء تنذر بهطول أمطار غزيرة،  
وكان الطبيعة كلها تشارك في حزنه، وكأن السماء  
تبكي معه.

جلس مرة أخرى على الأريكة، يحاول فك طلاسم  
الحلم، فقد كانت كلمات والده في المنام لا تقل غموضاً  
عن وصيته التي تركها له. شعر أن المسألة تتعدّد كلما  
حاول إيجاد تفسير منطقي أو فهم السياق الذي تركه له  
والده. فقد تركت كلمات والده في قلبه مشاعر  
متضاربة، تجعله في حيرة بين التمسك بذكريات  
الماضي وواجبات الحاضر.

وبعد تفكير طويل قرر خيري أن يغلّق هذا الموضوع،  
وَألا يغرق في تحليل الحلم أو وصية والده أكثر من  
ذلك، بل يركّز على ما يمكن له السيطرة عليه. كانت  
الخطوة التالية واضحة: عليه أن يتم إجراءات بيع  
المنزل القديم، والانتقال إلى المنزل الجديد الذي اتفق  
عليه والده من أجله.

لكن قبل ذلك، أراد زيارة قبور والديه للمرة الأخيرة، ليودع هذه الأرض التي ضمت أحبائه قبل أن يغادرها إلى الأبد.

وبينما كان يستعد للخروج، ألقى نظرة على السماء الملبدة بالغيوم، وعرف أن المطر قد يهطل في أي لحظة. قرر أن يذهب إلى المقبرة بسرعة، عازماً على أن يودع المكان الذي كان شاهداً على ذكريات طفولته، وأصدقائه، وذكريات والدته ووالده التي سيحملها معه إلى رحلته الجديدة.

توجه خيري بخطوات سريعة نحو المقبرة، ولم تكن تبعد كثيراً عن منزلهم. كان الجو بارد، والطريق يبدو كأنه يمتص صوته، كأن كل شيء كان ينتظر هذه اللحظة لتكتمل. وعندما وصل إلى المقبرة، مر بجوار قبر والده،

ووقف قليلاً ليقول بصوت خافت لكنه مسموع: "وداعاً يا أبي". ثم تابع طريقه نحو قبر والدته، الذي لم يكن بعيداً.

وعندما اقترب من قبر والدته، لاحظ وجود فتاة تقف بجوار القبر الجديد، الذي دُفن فيه الشخص الغريب بالقرب من والدته. كانت الفتاة متوسطة القامة، ذات ملامح هادئة يغلب عليها الحزن والوقار، بشرتها شاحبة قليلاً وكأنها تعكس تأثير فقد عميق. كانت تضع حجاباً خفيفاً بلون داكن يغطي جزءاً من شعرها البني الداكن المتناثر على كتفيها، مما زادها وقاراً وهيبة. عيناها العميقتان كانتا تركزان على القبر بصمت، وكأنها تغوص في ذكريات لا يعرف أحد سواها تفاصيلها.

كانت تحمل بيدها أوراقاً قديمة، بعضها بدا متآكلاً  
كانت الأوراق ذات حواف باهتة ومتآكلة، وعليها بعض  
البقع التي غطتها بفعل السنين. بدا وكأنها تقلب الورقة  
تلو الأخرى بحذر شديد، غير عابئة ببرودة الجو،  
وكانها تبحث في كل ورقة عن أثر يربطها بالفقيد.

تردد خيري في البداية في سؤالها؛ فقد كان الموقف  
مشحوناً، والمكان له جلاله الخاص. لكنه لم يستطع في  
النهاية مقاومة فضوله، خاصة مع كل ما يحيط بهذا  
القبر الجديد من غموض. فتهد وسألها بنبرة حزينة،  
تتناسب مع الأجواء التي تسود المكان:

\_\_ "ما قرابتك للميت يا سيدتي؟"

ردت الفتاة بصوت حزين:

\_"إنه أبي."

أحس خيري بحزن شديد يتسرب من صوتها، فتابع  
بسؤال آخر:

\_"هل كانت علاقتكم جيدة؟"

عندما سألها، تلمعت في عينيها دموع الحزن، وكأن كل  
ذكرى مؤلمة تتراكم في قلبها. قالت، بصوت يخنق  
بعواطفها:

\_"لقد طلبت والدي الطلاق من أبي بعد سنة من  
ولادتي، لأنها كانت تعتقد بأنه لا يحبها. فأخذتني  
معها."



كان خيرى يستمع بإنصات، ويدرك أن هناك قصصاً  
مؤلمة خلف هذه الكلمات. تابعت الفتاة:

\_"ظل أبي وحيداً في منزله لمدة ثلاثين سنة. وفي  
السنين الثلاثة الماضية، عانى أبي مرضاً شديداً.  
فتحولت أنا وزوجي للعيش معه في نفس المنزل، لكي  
أكون قريبة منه خلال فترة مرضه وأقدم له الرعاية  
التي يحتاجها."

تجمدت كلماتها للحظة، ثم أكملت:

\_"لقد كان عندما يشتد به المرض يبدأ بالهذيان،  
مرددًا اسمي، إنَّ هذا ما اعتقدت بالبداية."

نظر خيري إلى الأوراق التي كانت تحملها بيدها،  
فسأل:

\_" هل هذه وصية أو ما شابه ذلك؟"

نظرت الفتاة إلى الأوراق بحزن، ثم أجابت:

\_" لا، إنها رسائل."

فاستفسر خيري مرة أخرى، محاولاً فهم عمق  
مشاعرها:

\_" وهل تحمل هذه الرسائل ذكريات سعيدة؟"

ردت الفتاة، وقد انزلت دمعة من عينيها على  
وجنتيها، وقالت بصوت مملوء بالحزن:

\_" أبداً."

قالت الفتاة بصوت يملؤه الحزن والمرارة:

\_"إنها رسائل أبي عندما كان شاباً، مع حبيبته." \_

اندهش خيري قليلاً، لكنه تابع الاستماع، والفتاة تروي له قصة مأساة أبيها التي انكشفت لها من خلال تلك الأوراق القديمة.

\_"كانت الرسائل الأخيرة من حبيبته تقول فيها إن صديق والدها طلب يدها للزواج من ابنه، وأن والدها يحب صديقه كثيراً، لذلك لم يكن يستطيع أن يرفض طلبه." \_

توقفت الفتاة قليلاً، وعيناها تتعلقان بالأفق، وكأنها ترى في مخيلتها تلك اللحظة، ثم تابعت بنبرة متألّمة:

\_"طلبت من أبي أن يسرع في طلب يدها من والدها، وألا يهتم لأمر المال. قالت إنها إن لم تره قبل أن يصل الشاب لخطبتها، ستضطر إلى إقناع هذا الشاب برفض الزواج منها."

أخذت الفتاة نفساً عميقاً، وأكملت:

\_"وكتبت له أيضاً أنها ستقبل يده وقدمه إذا لزم الأمر، مقابل أن يرفضها دون أن يُفشي أمرها لأحد."

أشار خيرى برأسه متفهماً . كانت قصتها تتجلى أمامه  
كمأساة محزنة، لكنه لم يقاطعها، بل ظل يستمع  
بانصات .

\_ "وفي الرسالة الاخيرة، كتبت له أن الشاب رفض  
طلبها وقرر الزواج منها، وختمت الرسالة بعبارة:  
'حبيبك إلى الأبد، لطيفة .'"

توقف خيري، وقد بدا على وجهه صدمة وذهول،  
عندما نطقت الفتاة اسم "لطيفة". كأنما الوقت تجمد  
للحظة، وتدفقت الأفكار إلى عقله كطوفان لا يمكن  
إيقافه. شعر بشيء غريب في قلبه، شيء أشبه بنبضة  
من الماضي البعيد، شيئاً يربط بين حياته وبين حياة  
هذه الفتاة التي تقف أمامه الآن كحلقة مفقودة لماضي  
والديه. تداخلت الذكريات، وأخذت تتجمع شيئاً فشيئاً؛  
فقد تذكر كيف كان والده يخبره بعد وفاة والدته عن  
أحلامه المتكررة، عن رؤى كان فيها يعود إلى أيام  
شبابه، يرى والدته وهي جالسة بدموع حارقة تملأ  
عينها، وأمامها شاب ممدد، يبدو عليه المرض، كأنها  
تتمنى لو تستطيع تغيير ما مضى.

كان خيرى غارقاً في تفاصيل الذكريات عندما بدأ صوت المطر يتساقط كهمسات، كأنما السماء تبكي هي الأخرى معهم. سقطت قطرة المطر الأولى برفق على قبر والد الفتاة، وبدأت كأنها رسالة من السماء، تبعها قطرة ثانية سقطت على قبر والدة خيرى، وكأنها تربط بين روحين فرقهما الزمن وجمعت بينهما القبور. سرعان ما تصاعدت وتيرة المطر، وبدأت السماء تمطر بشدة، وانسابت حبات المطر في تدفق يشبه الدموع المتساقطة من الأعلى، لتغسل القبور وتحيط المكان بجو من الحزن المهيب.

وقف خيرى والفتاة وسط هذا المشهد، وقد اختلطت دموعهما بقطرات المطر، وشعرا وكأنهما يعيدان إحياء ذكرى حب لم يكتمل، حب بقي طي النسيان، لكنه نجا بذكرياته عبر الأجيال.

النهاية